أبحاث

شُؤمُ الذنبِ وبرَكةُ التوبة

د. عبد الواسع بن يحيى بن محمد المعزبي الأزدي[*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

الحمد لله، حمدا كثيرا، طيبا، مباركا فيه، حتى يبلغ الحمد منتهاه، والصلاة والسلام دائماً وسرمداً على نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله الكرام، وصحبه الأماجد، وعلى التابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يــوم. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾(٢).

(*) أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد - قسم الدراسات الإسلامية - كلية العلوم والآداب بشـــرورة - جامعة نجران.

(١) سورة آل عمران الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء الآية: (١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[1].

أما بعد:

فهذا بحث موجز أشرتُ فيه إلى الفرق بين الابتلاء والعقوبة، وبينتُ فيه شيئاً من خطر الذنوب والسيئات وعواقبها على الفرد المسلم، والمجتمع المسلم، والأمة المسلمة، وأشرتُ إلى الحكمة من الابتلاء بالذنوب وبيان ثمرات التوبة وفوائدها وبعض الحسنات والأعمال الصالحة التي تذهب هذه الأوزار.

ولا شك أن بلاد المسلمين تعج بكثير من المعاصي كتضييع الصلاة، ومنع الزكاة وتعاطي المحرمات، وقطيعة الأرحام، وأكل الحرام، والنظر الحرام، وسماع الحرام وشرب الحرام، والاستهانة بالمقدسات، وغير ذلك، ولأن الذنوب شر مستطير بل هي أعظم أسباب النقم كما قال - تعالى-: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾[2] وقال - تعالى-: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ٢٥﴾[3].

مشكلة البحث:

يعالج هذا البحث كيف نفرق بين الابتلاء والعقوبة على الذنب، والتحذير من الذنوب عموما والتحذير من بعض الذنوب خصوصا، وتجلية الحكمة الإلهية من الابتلاء بالذنوب في ضوء نصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة، الفوائد التي يحصل

(١) سورة الأحزاب الآيتان: (٧٠، ٧١).
(٢) سورة الشورى الآية: (٣٠).
(٣) سورة نوح الآية: (٢٥).

عليها المسلم بسبب التوبة والاستغفار؟! وأن الله ﷻ يمحو السيئة بالحسنة قال – تعالى-: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[1]، وحديث أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**)[2].

ويمكن القول بأن هذا البحث يجيب عن التالي:

السؤال الأول: هل هناك عقوبات محددة لذنوب معينة يجب الحذر منها؟

السؤال الثاني: هل هناك حكمة إلهية لابتلاء الخلق بالمعاصي؟

السؤال الثالث: هل التوبة والاستغفار واجبتان في كل الأزمنة والأمكنة؟ وما المنافع العاجلة والآجلة من لزوم التوبة واللهج الدائم بالاستغفار؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

- بيان خطورة الاستهانة بالذنب والتحذير من الكبائر عموما ومن ذنوب مخصوصة حذر منها القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وربما استهان بها بعض المسلمين.
- توضيح الحكمة من الوقوع في الذنوب وأنه لا معصوم إلا الرسل والأنبياء.
- التأكيد على عبادة التوبة وأهميتها وتنوع طرائقها وثمراتها.

المنهج العلمي للبحث:

اعتمدت فيدراسة هذا الموضوع على المنهج الاستقرائي، في جمع النصوص، وما

(١) سورة هود الآية: (١١٤).

(٢) حديث حسن صحيح: أخرجه الترمذي في السنن كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في معاشرة الناس الحديث رقم (١٩٠٦) المؤلف: محمد بن عيسى الترمذي (٢٥٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، المحقق: العلامة أحمد محمد شاكر وآخرون، من حديث أبي ذر ﷺ وعقبه بقوله (حديث حسن صحيح) وحسنه العلامة الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٠٩) برقم (٥٠٨٣) المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م.

يتعلق بدلالاتها والمنهج الاستنباطي في ربط الاستنباطات بأدلتها الشرعية من الكتاب والسنة النبوية الصحيحة.

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث نظرا لما نلاحظه جميعا من وقوعنا جميعا في الغفلة والتقصير، وجهل كثير من المسلمين بالوسائل الشرعية للخروج من عقدة الإصرار، وأغلال الذنوب والمعاصي.

خطة البحث:

قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة وفصلين وتحت كل فصل مطالب:

المقدمة تشتمل على مشكلة البحث وأهدافه والمنهج العلمي المسلوك فيه، وفصلين كالتالي:

الفصل الأول: الفرق بين الابتلاء والعقوبة وخطر الذنوب وعقوباتها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في الفرق بين الابتلاء والعقوبات على الذنوب والمعاصي.

المطلب الثاني: في عقوبات بعض الذنوب.

الفصل الثاني: الحكمة من الابتلاء بالذنوب، وثمرات التوبة، وبعض الأعمال. الصالحة الماحية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان الحكمة من الابتلاء بالذنوب والمعاصي.

المطلب الثاني: في تعريف التوبة وبيان ثمراتها.

المطلب الثالث: بيان بعض الأعمال الصالحة التي يمحو الله بها السيئات.

* * *

الفصل الأول

الفرق بين الابتلاء والعقوبة، وخطر الذنوب وعقوباتها

المطلب الأول: في الفرق بين الابتلاء والعقوبات على الذنوب والمعاصي

هناك فرق بين العقوبة والابتلاء، فالابتلاء بالشدائد للمؤمن يكون مع الطاعة، ويصحبه الرضا من العبد، وزيادة الإيمان كما كان حال سيدنا بلال ﷺ، عندما كان يُعذب فيستعذبُ العذابَ في مرضاة الله، ومن أجل التوحيد ويُردد أحدٌ أحدٌ يغيظ بها مشركي قريش الذين كانوا يقلبونه بدون ثياب على رمال مكة الساخنة وسط حر الشمس، وقد ذكر الله الابتلاء في كتابه الكريم قال -تعالى-: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)** ﴾(١)، وقال رسول الله ﷺ: (**إن من أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**)(٢)، وفي هذا الحديث دليل على أن الابتلاء ينـــزل بغير ذنب.

---

(١) سورة البقرة الآيات: (١٥٥-١٥٧).

(٢) حديث صحيح: أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسند الصحابية فاطمة بنت اليمان العبسية أخــت حذيفة بن اليمان برقم (٢٦٤٤٩) المؤلف: إمام أهل السنة الإمام المبجل أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المتوفى (٢٤١هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربِي، بيروت، رواه متصلا من طريق غُندرٍ عن شُــعبةَ بــن الحجاج عن حُصين بن عبد الرحمن عن أبي عبيدة بن حُذيفة بن اليمان عن عمته فاطمةً رضي الله عنــها، وبمعناه أحاديث أُخر كثيرة في الصحيحين وغيرهما.

إذاً فالمصائب التي تنـــزل بالعباد تنـــزل لسببين:

السبب الأول: الابتلاء ليرفع الله به درجات المؤمنين مثل بلاء الأنبياء فالأنبيـــاء لا يقعون في الذنوب؛ لأنهم معصومون لكن الله يبتليهم لرفع درجاتهم في الجنة.

السبب الثاني: العقوبة التي تقع على الكافر بسبب كفره وعلى المســـلم العاصـــي بسبب الذنوب وهي عقوبة تصحبها المرارة والسخط من العبد؛ لأنها عقوبة، والعقوبة يعقبها ألم، وما من شك أن ما يحل بنا- نحن أمة الإسلام - من المصـــائب، لـــيس إلا عقوبة من الله -تعالى- على تقصيرنا في جنب الله -تعالى-، فالربا والمجون والعقـــوق والاستهانة بالمحرمات وسائر المعاصي الظاهرة كلها تجلب غضب الله.

ومن الذنوب العظيمة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كثير مـــن بـــلاد المسلمين؛ لأن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذنب يستحق العقوبة، وبـــذلك نطقت الأحاديث الصحيحة، وهذه إشارة إلى أبرز العقوبات الإلهية على الذنوب.

المطلب الثاني: نماذج من العقوبات الإلهية لبعض الذنوب

العقوبة الأولى: الجوع والخوف:

إن من العقوبات الربانية التي يعاقب الله بها العباد على ذنوبهم ومعاصيهم؛ الجوع والخوف يقول الله -تعالى-: ﴿ **وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾** ﴾[(١)].

وقـــال -تعـــالى -: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ**

(١) سورة النحل الآية: (١١٢)

وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[1].

وكما يكون الجوع والخوف عقوبة فقد يكون ابتلاءً يُبتلى به المؤمن كما قال -تعالى-: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[2].

العقوبة الثانية: هلاك الزروع والثمار:

فقد حذرنا الله من إساءة التعامل مع المساكين، وعاقب الله أصحاب الجنة لما منعوا المساكين من ثمار بستانهم، فأهلك الله بستانهم، وجعله رمادا كما قال -تعالى-: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾[3].

وأهلك الله زروع قوم سبأ لما كذبوا الرسل قال -تعالى-: ﴿ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ﴾[4].

العقوبة الثالثة: هدم البيوت وخراب القصور وزوال العمران بسبب الذنوب:

إن البيوت والمساكن من النعم التي امتن الله بها على العباد بقوله -سبحانه-: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ ﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف الآية: (٩٦).
(٢) سورة البقرة الآية: (١٥٥).
(٣) سورة القلم الآيتان: (١٩- ٢٠).
(٤) سورة سبأ الآية: (١٦).
(٥) سورة النحل الآية: (٨٠).

فإذا وقعت الذنوب انتزع الله هذه النعمة كما قال -تعالى -: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾[(١)].

وقال - تعالى-: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾[(٢)]، والشاهد في الآية قوله —سبحانه- فدمرناها تدميرا.

وقال -تعالى - عن قوم لوط: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ ﴾[(٣)]، والشاهد في هذه الآية قوله: -سبحانه- ﴿ جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ - فقد رُفعتْ قُراهمْ وبُيوهم إلى السماء على جناح جبريل عليه السلام، ثم قُلبت رأساً على عقب ثم أُمطرت عذابا، وهي الآن في قعر البحر الميت بالشام، وقصة عقاب قوم لوط من أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن الكريم[(٤)] فقد دمر الله مساكنهم وكانت في غاية الترف والرقي العمراني بسبب اللواط الذي هو من أقبح الذنوب بعد الشرك.

واستجاب الله دعوة سيدنا نوح عليه السلام بخراب ديار الكفار، وتدمير مساكنهم، كما قص الله -تعالى - ذلك عنه فقال -تعالى -: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ

---

(١) سورة الحشر الآية: (٢).
(٢) سورة الإسراء الآية: (١٦).
(٣) سورة هود الآية: (٨٢).
(٤) انظر: (موقع د/ زغلول النجار (www.elnaggarzr.com)، وموسوعة الإعجاز للأستاذ هارون يحيى (quran-m.com/quran/article).

دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾[1] ودَيّارْ: ساكن الديار والقصور، وهي صيغة مبالغة فيها دليل على شدة التحضر والعيش في البيوت والقصور وعدم السكن في الخيام والبادية.

وقال -تعالى-: ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾** ﴾[2].

ومعنى الآية: أن هناك قرى كثيرة في الأمم السابقة عتت عن طاعة الله وطاعة رسله؛ فأهلكها الله وحاسبها حسابا شديدا، وعذبها عذابا أليما، وفي الآية تحذير للمخاطبين من أمة الدعوة وأمة الإجابة في أمة محمد ﷺ على عدم عصيان الله ورسله وإلا فلينتظروا من العقاب مثل عقوبات من قبلهم من الأمم، من خراب العمران والديار.

ومن الذنوب العظيمة التي تكون سببا في خراب العمران وزوال البنيان اليمين الفاجرة التي تسمى الغموس كما صح ذلك عن النبي ﷺ أنه قال: (**إن أعجل الطاعة ثوابا صلةُ الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونوا فجاراً فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم إذا وصلوا الرحم، وإن أعجل المعصية عقابا البغي، واليمين الفاجرة تذهب المال، وتُعقِمُ الرحمَ، وتَذرُ الديارَ بَلاقِعْ**)[3].

---

(١) سورة نوح الآية: (٢٦).

(٢) سورة الطلاق الآيتان: (٨ – ٩).

(٣) حديث صحيح لغيره: أخرجه الإمام إسحاق بن راهوية في مسنده (٥/٢٧١) برقم (٢٤٢٥)المؤلف: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بـ ابن راهوية (المتوفى: ٢٣٨هـ)، المحقق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، الناشر: مكتبة الإيمان – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م بسنده عن مكحول مرسلا، وأخرجه الدولابي في الكنى والأسماء للدولابي (٣/ ١١٨٥) (٢٠٧٢) المؤلف: أبو بشْر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الدولابي الرازي (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أَبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار ابن حزم – بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م بسنده موصولا مرفوعا عن واثلة بن الأسقع ﷺ وأخرجه خيثمة=

=ابن سليمان القرشي (ص: ٧٠) المؤلف: أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة بن سليمان القرشي الشامي الأطرابلسي (المتوفى: ٣٤٣هـ)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي – لبنان عام النشر: ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م عن واثلة ﷺ مرفوعا، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٢/ ١٩) برقم (١٠٩٢) المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة، عن أبي هريرة ﷺ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (وَفِيهِ أَبُو الدَّهْمَاءِ الْأَصْعَبُ وَثَّقَهُ النُّفَيْلِيُّ، وَضَعَّفَهُ ابْنُ حِبَّانَ) انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٤/ ١٨٠) برقم (٦٩١١)، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م. وأخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب لقوام السنة (٢/ ٥٩) برقم (١١٥٠)، المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، المحقق: أيمن بن صالح بن شعبان، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م عن أبي الدرداء ﷺ مرفوعا وسنده متصل ورجاله لم يقدح فيهم وهو أقرب إلى الصواب قاله ابن الملقن في البدر المنير البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير (٨/ ١٩٦) المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر ابن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٦٢) برقم (١٩٨٧٠) المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م وفي شعب الإيمان (٦/ ٤٨١) برقم (٤٥٠١) و(١٠/٣٤٥) برقم (٧٦٠١) المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، وصاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣ م، وأخرجه معمر بن راشد في جامعه (١١/ ١٧١) برقم (٢٠٢٣١) الكتاب: الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق) المؤلف: معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: ١٥٣هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ رواه عن يحيى بن أبي كثير مرسلا عن النبي ﷺ.

وصححه الإمام الألباني في السلسلة الصحيحة ٦٩٦/٢ برقم (٩٧٨) الكتاب: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي ابن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عدد الأجزاء: ٦عام النشر:، جـ ١ - ٤: ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، جـ ٦: ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م، جـ ٧: ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

معنى قوله (بَلاقِعْ) عند أهل اللغة:

قال صاحب كتاب العين: (بَلْقَعْ: البَلْقَعُ: القَفْر لا شَيْءَ فيه، مَنزل بَلْقَعٌ ودِيارٌ بَلاقِعُ، وإذا كانت اسْما مُنْفردا أُنِّثَ، تقُولُ: انْتَهَيْنا إلى بَلْقَعَةٍ مَلْساءَ)[1]، وفي المعجم الوسيط: (البَلْقَع والبَلْقَعة الأرض القَفْر التي لا شيء بها)[2].

قال صاحب تهذيب اللغة: (أَرْض بَلْقَعْ: قفر لا شَيْء فِيهِ، وَكَذَلِكَ دَار بلقع وَإِذا كَانَ نعتاً فَهُوَ بِغَيْر هَاء للذّكر وَالأُنْثَى. منزل بلقع وَدَار بلقع. فَإِذا أفردت قلت: انتهينا إِلَى بلقعة ملساء وَكَذَلِكَ القفر تَقول دَار قفر ومنزل قفر فَإِذا أفردت قلت انتهينا إِلَى قَفْرة من الأَرْض، وَفِي الحَدِيث: (**الْيَمين الكاذبة تدع الديار بَلاقِع**) قَالَ شمر: معنى بَلاقِع: أَن يفْتَقر الْحَالِف، ويذهبَ مَا فِي بَيته من الْخَيْر وَالْمَال، سوى مَا ذُخِر لَهُ فِي الآخِرَة من الإِثْم. قَالَ والبلاقع: الَّتِي لا شيءَ فِيهَا قَالَ رؤبة: فَأَصْبَحت دِيَارهمْ بلاقعا، وَقَالَ ابْن شُمَيْل: البَلْقعة: الأَرْض الَّتِي لا شجر بهَا، تكون فِي الرمل وَفِي القيعان. يُقَال قاع بلْقع، وَأَرْض بَلاقِع، وانتهينا إِلَى بلقعة ملساء. وَقَالَ غَيره يُقَال: امْرَأَة بلقع وبلقعة خلت من كل خير)[3].

وجاء في شرح السنة: («الْيَمِينُ الْغَمُوسُ تَدَعُ الدِّيَارَ بَلاقِعَ»، مَعْنَاهُ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ–تعالى– يُفَرِّقُ شَمْلَ الْحَالِفِ، وَيُغَيِّرُ عَلَيْهِ مَا أَوْلاهُ مِنْ نِعَمِهِ، وَقِيلَ: يَفْتَقِرُ وَيَذْهَبُ مَا

(١) انظر: كتاب العين (٢/ ٣٠١) المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

(٢) مختار الصحاح ١ / ٣٣.

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٣/ ١٩١) المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

فِي بَيْتِهِ مِنَ الْمَالِ)[١].

وقال -تعالى-: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾[٢].

قال في زاد المسير في علم التفسير: (لَّما عُقرت الناقةُ صَعدَ فصيلُها [ولد الناقة] إلى الجبل، ورغا ثلاث مرات، فقال صالح عليه السلام: لكل رغوة أجل يوم، ألا إن اليوم الأول تصبح وجوهُكم مُصْفَرَّةً، واليوم الثاني مُحْمَرَّةً، واليوم الثالث مُسْوَدَّةً؛ فلما أصبحوا في اليوم الأول، إذا وجوههم مصفرة، فصاحوا وضجوا، وبَكَوْا، وعَرَفوا أنَّه العذاب، فلما أصبحوا في اليوم الثاني، إذا وجوههم محمرة، فضجوا، وبكَوا، فلما أصبحوا في اليوم الثالث، إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار، فصاحوا جميعا: ألا قد حضركم العذاب؛ فتكفَّنوا وألقَوْا أنفسهم بالأرض، لا يدرون من أين يأتيهم العذاب، فلما أصبحوا في اليوم الرابع، أتتهم صيحة من السماءِ فيها صوت كلِّ صاعقة، فتقطَّعتْ قلوبُهم في صدورهم. وقال مقاتل: حفروا لأنفسهم قبوراً، فلما ارتفعت الشمس من اليوم الرابع، و لم يأتهم العذاب، ظنوا أن الله قد رحمهم، فخرجوا من قبورهم يدعو بعضهم بعضاً، إذ نزل جبريل، فقام فوق المدينة فسدّ ضوءَ الشمس، فلما عاينوه، دخلوا قبورهم، فصاح بهم صيحة: موتوا، عليكم لعنة الله، فخرجت أرواحهم،

---

(١) انظر: شرح السنة (١/ ٨٥)، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
(٢) سورة هود ٦٧-٦٨.

وتزلزلت بيوتهم فوقعت على قبورهم)[1].

فكل هذه الأدلة تبين بوضوح أن من عقوبات الذنوب خراب العمران وهدم البنيان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

العقوبة الرابعة: ضَنْكُ العَيْشِ:

من عقوبات الذنوب والمعاصي ضنك المعيشة كما قال – تعالى-: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ** ﴿١٢٤﴾ ﴾[2] والذكر هنا هو القرآن والعمل به وتلاوته، قال ابن عاشور –رحمه الله – (رتب على الإعراض عن هدي الله اختلال حَاله في الدنيا والآخرة، فالمعيشة مراد بها مدة المعيشة. أي: مدّة الحياة)[3]، وقال ابن الجوزي –رحمه الله –: قوله – تعالى –: ﴿ **فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾ قال أبو عبيدة: معناه: معيشة ضيِّقة، والضَّنك يوصَف به الأنثى والذكر بغير هاء، وكل عيش أو مكان أو منزل ضيِّق، فهو ضَنك، وأنشد: وإِنْ نَزلُوا بِضَنْكٍ فانـزلِ... وقال الزجاج: الضَّنْك أصله في اللغة: الضِّيق والشدَّة)[4].

العقوبة الخامسة: المرض:

لقوله ﷺ: (**يا معشر المهاجرين خصال خمس إن ابتليتم بهن ونزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم**

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٣٨٣)، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

(٢) طه ١٢٤.

(٣) انظر: التحرير والتنوير ١٦ / ٣٣١ الكتاب: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس – سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

(٤) زاد المسير في علم التفسير ٤ / ٣٢٦.

الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخـذوا بالسـنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر مـن السـماء ولولا البهائم لم يمطروا ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدو مـن غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسـهم بينهم)(١).

وقال ﷺ: **(ما اختلج عرق و لا عين إلا بذنب، وما يدفع الله عنه أكثر)**(٢).

(١) حديث صحيح: أخرجه ابن ماجه في السنن ك/ الفتن ب/ العقوبـات (٢/١٣٣٢) بـرقم (٤٠١٩) المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيـق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي عن ابن عمـر ﷺ، والطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ٦١) برقم (٤٦٧١) المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيـوب بـن مطـير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمـد، عبـد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة عن ابن عمر رضي الله عنهما وأخرجه الإمـام أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن للداني (٣/ ٦٩١) برقم (٣٢٧) المؤلف: عثمان بن سعيد بـن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) المحقق: د. رضاء الله بن محمد إدريس المبـاركفوري، الناشر: دار العاصمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ والحافظ البيهقي في شعب الإيمـان (٥/ ٢٢) برقم (٣٠٤٢) وأخرجه الإمام أبو عمرو الداني في السنن الـواردة في الفـتن (٣/ ٦٩١) بـرقم (٣٢٧) المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) المحقق: د. رضاء الله بـن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ والحافظ البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٢) برقم (٣٠٤٢) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء مـن فقهها وفوائدها (١/ ٢١٦) برقم (١٠٦) المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بـن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، جـ ١ - ٤: عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢) حديث صحيح: أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (٢/ ٢١٦) برقم (١٠٥٣) المؤلف: سليمان بـن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: محمد شـكور محمود الحاج، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار – بيروت، عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥م وصححه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائـدها (٥/ ٢٥٠) بـرقم (٢٢١٥) وفي صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٩٦٩) برقم (٥٥٢١) المؤلف: أبو عبد الرحمن محمـد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتـب الإسلامي.

العقوبة السادسة: شدة المئونة:

(يا معشر المهاجرين خصال خمس إن ابتليتم بهن ونزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم و لم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان)[1].

العقوبة السابعة: تسليط الأعداء على أمة الإسلام:

كما قال رسول الله ﷺ:

(يا معشر المهاجرين خصال خمس إن ابتليتم بهن ونزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم)[2].

العقوبة الثامنة: انقطاع المطر:

إن عدم إطعام المساكين والفقراء وعدم إخراج الزكاة المفروضة سبب للقحط وعدم نزول المطر كما قال ﷺ **(ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا)**[3].

---

(١) صحيح الترغيب ١/ ١٨٧ تقدم تخريجه مفصلا في الفقرة قبل السابقة.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

العقوبة التاسعة: تنافر القلوب وتمزق المجتمعات وتشتت الكلمة وأن يـــذيق الله العصاة بعضهم بأس بعض:

قال -تعالى - عن قوم سبأ كيف أنه مزقهم بذنوبهم: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩﴾[1].

وقال - تعالى- مخبرا عن تمزيق أهل الكتاب بـــذنوبهم: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾[2].

وقال -تعالى-: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٦٨﴾[3].

وأخبر الله —سبحانه- أن من أسباب الفراق والتباغض بين الزوجين تضييع الصلاة الوسطى كما قال -تعالى -:﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾[4].

قال البقاعي -رحمه الله تعالى -:

(وإنما كان نجم هذا الخطاب للمحافظة على الصلاة لأن هذا الاشتجار المذكور بين

---

(١) سورة سبأ الآية: ١٩.
(٢) سورة المائدة الآية: ١٤.
(٣) سورة الأعراف الآية: ١٦٨.
(٤) سورة البقرة الآية: ٢٣٨.

الأزواج فيما يقع من تكره في الأنفس وتشاح في الأموال إنما وقع من تضييع المحافظة على الصلوات؛ لأن الصلاة بركة في الرزق وسلاح على الأعداء وكراهة الشيطان؛ فهي دافعة للأمور التي منها تتضايق الأنفس وتقبل الوسواس ويطرقها الشح، فكان في إفهام نجم هذا الخطاب أثناء هذه الأحكام الأمر بالمحافظة على الصلوات لتجري أمورهم على سداد يغنيهم عن الارتباك في جملة هذه الأحكام)[1].

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ كان يقول: (**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله**" ويقول: **والذي نفسي بيده ما تواد اثنان فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما**"، وكان يقول: "**للمسلم على المسلم ست يشمته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، وينصحه إذا غاب أو شهد، ويسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، ويتبعه إذا مات**")[2].

وقال -تعالى -: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[3].

العقوبة العاشرة: الذلة والمسكنة:

من عقوبات الذنوب الذلة والمسكنة فالذلة عقوبةً يعاقب الله بها من عصاه قال -تعالى-: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٦١/٣) المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
(٢) حديث صحيح: صححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب ٣ / ٢٠٢ الناشر: دار المعارف – الرياض.
(٣) سورة الأنعام الآية: ٦٥.

اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[1].

ومعنى الذلة والمسكنة ما يلي:

الذلة: اسم هيئة من الذل وهو الصغار والمهانة ضد الرفعة والشرف.

والمسكنة: الفقر والفاقة[2].

العقوبة الحادية عشرة: موت القلب وتضييع الهداية:

إن من شؤم الذنوب والمعاصي؛ أن تموت قلوب العصاة فلا تتأثر بالخير، ولاتنزجر عن الشر، كما قال -تعالى -: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾[3].

وقد أمرنا الله بترك الذنوب والمعاصي، ثم ذكر ﷻ أن من غفل عن طاعته أنه يعاقبه بألا يوفقه لطاعة ربه فقال -تعالى-: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ

(١) سورة البقرة الآية: ٦١.

(٢) انظر جامع البيان ٢/ ١٣٧ المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٣) الصف: ٥.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾[1].

قال الماوردي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ روى معن أو عون ابن مسعود أن رجلاً أتاه فقال: اعهد لي، فقال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فأرعها سمعك فإنه خير تؤمر به أو شر تنهى عنه.

وفي هذه التقوى وجهان: أحدهما: اجتناب المنافقين، الثاني: هو اتقاء الشبهات.

قوله -تعالى -: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ قال ابن زيد: ما قدمت من خير أو شر ﴿لِغَدٍ﴾ يعني يوم القيامة والأمس: الدنيا، قال قتادة: إن ربكم قدم الساعة حتى جعلها لغد ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في هذه التقوى وجهان: أحدهما: أنها تأكيد للأولى. والثاني: أن المقصود بها مختلف وفيه وجهان:

أحدهما: أن [التقوى] الأولى التوبة مما مضى من الذنوب، و[التقوى] الثانية اتقاء المعاصي في المستقبل، الثاني: أن الأولى فيما تقدم لغد، الثانية فيما يكون منكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن الله خبير بعملكم، الثاني: خبير بكم عليم بما يكون منكم، وهو معنى قول سعيد بن جبير، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: نسوا الله. أي: تركوا أمر الله، فأنساهم أنفسهم أن يعملوا لها خيرا، قاله ابن حبان.

الثاني: نسوا حق الله فأنساهم حق أنفسهم، قاله سفيان.

(١) الحشر: ١٨، ١٩.

الثالث: نسوا الله بترك شكره وتعظيمه فأنساهم أنفسهم بالعذاب أن يذكر بعضهم بعضاً، حكاه ابن عيسى.

الرابع: نسوا الله عند الذنوب فأنساهم أنفسهم عند التوبة، قاله سهل، ويحتمل خامساً: نسوا الله في الرخاء فأنساهم أنفسهم في الشدائد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ فيه تأويلان: أحدهما: العاصون: قاله ابن جبير، الثاني: الكاذبون، قاله ابن زيد)[(١)].

وقال -تعالى -: ﴿كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٤﴾[(٢)].

قال ابن الجوزي -رحمه الله -: (قال المفسرون: لما كثرت معاصيهم وذنوبهم أحاطت بقلوبهم. قال الحسن: هو الذَّنب على الذَّنب حتى يعمى القلب)[(٣)] انتهى كلامه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر صقلت، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، فهو الران الذي ذكر الله -تعالى-: ﴿كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٤﴾**)[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير النكت والعيون (٥ / ٥١١) المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

(٢) المطففين:١٤.

(٣) انظر: زاد المسير في علم التفسير (٤/٤١٥)، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

(٤) حديث صحيح: صححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه (٣٧٨/٤) برقم (٢٧٧٦) مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

العقوبة الثانية عشرة: البغضاء من الخلائق لأهل المعاصي والذنوب:

إن هذا الكون ملك الله وهو المتصرف فيه وهو الذي يزرع المحبة لأنبيائه وأوليائه في قلوب الخلائق وسائر الكائنات، وكذلك يجعل الخلائق تلعن وتبغض من عصاه ﷻ، وقد أخبرنا عن فرعون وقومه كيف كانت تبغضهم الجمادات و لم تبك على فراقهم، فقال -تعالى-: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾[1] قال صاحب زاد المسير في علم التفسير ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ﴾ أي: على آل فرعون، وفي معناه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه على الحقيقة، روى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما مِنْ مُسْلِمٍ إلاّ وله في السماء بابان، باب يصعَدُ فيه عمله، وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه**» وتلا ﷺ هذه الآية، وقال عليّ رضي الله عنه: إن المؤمن إذا مات بكى عليه مُصَلاّه من الأرض ومَصْعَد عمله من السماء، وإن آل فرعون لم يكن لهم في الأرض مُصَلّى ولا في السماء مَصْعَد عمل، فقال الله -تعالى-: (**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ**)، وإلى نحو هذا ذهب ابن عباس والضحاك ومقاتل[2]. وقال -تعالى- عن آل فرعون: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾[3].

روى الإمام مسلم في صحيحه: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ**

(١) سورة الدخان الآية: ٢٩.

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٩١)، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

(٣) القصص:٤٢.

فَقَالَ إِنِّي أُحِبُّ فلانا فَأَحِبَّهُ قَالَ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فلانا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ إِنِّي أُبْغِضُ فلانا فَأَبْغِضْهُ قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فلانا فَأَبْغِضُوهُ قَالَ فَيُبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ، وحَدَّثَنِي عَمْرٌو النَّاقِدُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجِشُونُ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، قَالَ:كُنَّا بِعَرَفَةَ فَمَرَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ- الخليفة العادل- وَهُوَ عَلَى الْمَوْسِمِ، فَقَامَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ لأَبِي: يَا أَبَتِ إِنِّي أَرَى اللَّهَ يُحِبُّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: لِمَا لَهُ مِنْ الْحُبِّ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، فَقَالَ: بِأَبِيكَ أَنْتَ!! سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ جَرِيرٍ عَنْ سُهَيْلٍ)(١).

العقوبة الثالثة عشرة: الخسف والمسخ والقذف:

من العقوبات التي تحل بالناس آخر الزمان الخسف ببعض الأماكن مع سكانها كما خسف الله بقارون وسوف يُمسخ بعض العصاة حيوانات كما مُسخَ عصاةُ بني اسرائيل وسوف يقذف العصاة بحجارة من السماء كما قذف الله قوم لوط وأصحاب الفيل وهذه العقوبات بسبب انتشار الزنا واستحلال الخمور والمعازف والخَبَثْ وهذه هي الأدلة:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب / البر والصلة باب/ إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده (٤/ ٢٠٣٠) برقم (٢٦٣٧)، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الدليل الأول:

قال ﷺ: (**ليكونن في هذه الأمة خسف وقذف ومسخ وذلك إذا شربوا الخمور واتخذوا القينات وضربوا بالمعازف**)[1].

الدليل الثاني: عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**يا أنس إن الناس يمصرون أمصارا فإن مصرا منها يقال له: البصرة فإن أنت مررت بها أو دخلتها فإياك وسباخها وكلأها ونخيلها وسوقها وباب أمرائها وعليك بضواحيها فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف وقوم يبيتون ويصبحون قردة وخنازير**)[2].

الدليل الثالث: عن عمران بن حصين ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (يكون في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف قال رجل من المسلمين يا رسول الله متى ذلك قال: إذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور)[3].

الدليل الرابع: قال ﷺ: (**يكون في آخر هذه الأمة خسف و مسخ و قذف قيل: يا رسول الله ! أنهلك و فينا الصالحون؟ قال: نعم إذا ظهر الخبث**)[4].

أقول: وقد فسر أهل العلم الخبث بأنه الزنا أو ولد الزنا.

(١) حديث صحيح: صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٩٦٠) برقم (٥٤٦٦) ورقم (٥٤٦٧)، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: المكتب الإسلامي.

(٢) حديث صحيح: مشكاة المصابيح ٣ / ١٤٩٦.رقم (٥٤٣٣)، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م

(٣) حديث صحيح: صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٧٨٦) برقم (٤٢٧٣) المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

(٤) حديث صحيح: صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ١٣٥٥) برقم (٨١٥٦)

أقول: لا يبعد القول بأن تسونامي الذي وقع في بعض سواحل المسلمين عبرة واضحة فإنه خسف بمكان فيه الخمور والقينات والمعازف والخبث.

تنبيه: الإعلام غير الهادف سبب من أسباب ضياع عقيدة وأخلاق المجتمع المسلم:

ومن الحلول المقترحة لهذه المشكلة:

١- أن يعلم المسلم أنه يحرم عليه فتح قناة تدعو إلى المنكر والتبرج والسفور وهدم الأخلاق فعن جرير بن عبد الله البجلي ﵁ قال: (سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة **فأمرني أن أصرف بصري**)[1].

وقال – عليه الصلاة والسلام-: (**يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة**)[2].

وقال عبد الله بن مسعود ﵁: (حفظ البصر أشد من حفظ اللسان)، وقال بعض الصالحين: من حفظ بصره أورثه الله نورا في بصيرته، وقال الحسن البصري لأخيه سعيد بن أبي الحسن لما قال له: إن نساء العجم يكشفن صدورهن ورءوسهن قال له: اصرف بصرك عنهن يقول الله –تعالى-: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[3][4].

٢- هناك قنوات كثيرة فيها فائدة علمية وثقافية ودينية واقتصادية ورياضية فيكتفى بها عن قنوات المجون والغناء.

---

(١) صحيح مسلم ك/ الآداب ب/ نظر الفجاءة (٣/ ١٦٩٩) برقم (٢١٥٩) عن جرير البجلي ﵁.

(٢) حديث صحيح: صحيح أبي داود (٦/ ٣٦٤) رقم (١٨٦٥) المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

(٣) سورة النور من الآية: ٣٠.

(٤) انظر: موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ قسم الصفات المذمومة / إطلاق البصر ٩/ ٣٩٠٥ المؤلف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة.

٣- على كل مسلم أن يعلم أن التساهل في هذا الأمر سيجعله يخسر نفسه و أهله وولده في نار جهنم والله -تعالى - يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾[1].

ومع هذا كله فلا بد من لزوم الرفق في النصح لأهل المعاصي ولو كانوا من أهل الكبائر قال -تعالى - لسيدنا موسى وقد أرسله لمن ادعى الألوهية: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ ﴾[2] وحذر النبي ﷺ من الغلو وأمر بالرفق فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (استأذن رهط من اليهود على النبي ﷺ فقالوا: السّامُ عليك، فقلت: بل عليكم السّام واللعنة، فقال: **يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**، قلت أو لم تسمع ما قالوا؟ **قال: قد قلت: وعليكم**)[3].

ووجه الشاهد في الحديث: الأمر بالرفق حتى مع غير المسلمين مع أنهم يدعون عليه ﷺ بالسّام وهو الموت، فأمرها ﷺ بالرفق، وهو أمر لجميع المسلمين بالرفق في الدعوة والنصيحة وعند الأمر بالمعروف وعند النهي عن المنكر، وبالله التوفيق.

العقوبة الرابعة عشرة: عذاب القبر:

كما أن الذنوب تكون وبالا على صاحبها في الدنيا فهي كذلك شقاء وخسران في

(١) سورة التحريم الآية:٦.

(٢) سورة طه الآية: ٤٤.

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: إذا عرض الذمي وغيره بالسب ولم يصرح، حديث رقم (٦٤٤١) المؤلف: الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى (٢٥٦هـ)، الناشر: دار ابن كثير – دار اليمامة المحقق: د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة، بيروت.

القبور قال ﷺ وقد مر بقبرين يعذبان: (**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**)(١).

والنميمة: نقل الكلام بين الناس من أجل إفساد ما بينهم ولو كانت صدقا.

العقوبة الخامسة عشرة: عذاب جهنم للعصاة والمذنبين:

ويوم القيامة هو يوم جزاء المؤمنين بحسناتهم وهو يوم جزاء الكافرين والعاصين بما كسبت أيديهم قال -تعالى-: ﴿**إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾**﴾(٢).

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ. فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**)(٣).

* * *

---

(١) صحيح البخاري كتاب/الوضوء باب/ من الكبائر أن لا يستتر من بوله (١/ ٥٣) برقم (٢١٦) المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٢) سورة النبأ الآية.

(٣) صحيح مسلم ك/البر والصلة ب/ تحريم الظلم (٤/ ١٩٩٧) رقم(٢٥٨١) المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الفصل الثاني

الحكمة من الابتلاء بالذنوب، وثمرات التوبة، وبعض الأعمال الصالحة الماحية

المطلب الأول: بيان الحكمة من الابتلاء بالذنوب والمعاصي

الحكمة الأولى:

أن يعلم العبادُ أن ما قدره الله كائن لا محالة: كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟" فقال النبي ﷺ: «فحج آدم موسى، فحج آدم موسى»**(١).

الحكمة الثانية:

حصول عبادة التوبة من المذنبين لربهم حتى يتوب عليهم كما قال ﷺ: **(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ)**(٢).

الحكمة الثالثة:

زوال العجب بالنفس من المؤمن و عدم الغرور بالعمل الصالح لوقوع الذنب من المؤمن كما قال ﷺ: **«لو لم تكونوا تذنبون لخفت عليكم ما هوأكبر من ذلك**

(١) صحيح مسلم ك/ القدر ب/ حجاج آدم وموسى (٤/ ٢٠٤٢) رقم (٢٦٥٢).
(٢) صحيح مسلم ك/ التوبة ب/باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة (٤/ ٢١٠٦) برقم (٢٧٤٩).

العجب العجب»[١] وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما من عبد مؤمن إلا وله ذنب يعتاده الفَيْنةَ بعد الفينة، أو ذنبٌ هو مقيم عليه لايفارقه حتى يُفارق - يعني يموت- إن المؤمن خُلق مفتنا توّاباً نسياً إذا ذُكر ذكر)**[٢] ومعنى قوله (مُفَتّنا) معناه: يبتلى بالذنب صغيرا كان أو غيره ليتوب والله أعلم، وليس معنى هذا التهاون بالذنوب فإنها شر مستطير، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والواجب على كل مسلم الحذر من الذنوب صغيرها وكبيرها والاستعانة بالله على أن يحفظه منها.

المطلب الثاني: في تعريف التوبة وبيان ثمراتها

أولا: تعريف التوبة:

التوبة في اللغة: الرجوع عن الذنب، قال الله -تعالى -: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾[٣].

والتوبة هي: الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب، ثم القيام بكل حقوق الرب والتوبة النصوح: هي توثيق بالعزم على ألا يعود لمثله، قال ابن عباس- رضي الله

---

(١) حديث حسن: صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٩٣٨) برقم (٥٣٠٣).

(٢) حديث صحيح: أخرجه الطبراني في المعجم الكبير بسند صحيح متصل في أحاديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما برقم (١١٦٥٢) المؤلف: الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى (٣٦٠هـ) الناشر: مكتبة العلوم والحكم بلد النشر: الموصل الطبعة: الثانية، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي وأخرجه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية برقم (٣٣٦٣) المؤلف الحافظ أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني المتوفى (٨٥٢هـ) الناشر: دار العاصمة ودار الغيث، بلد النشر: المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التويجري، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٥٧٣٥) طبعة المكتب الإسلامي وفي السلسلة الصحيحة برقم (٢٢٧٧) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

(٣) سورة غافر الآية: ٣.

عنهما-: التوبة النصوح الندم بالقلب والاستغفار باللسان والإقلاع بالبدن، والإضمار على ألا يعود.

والتوبة في الشرع: الرجوع عن الأفعال المذمومة إلى الممدوحة، وهي واجبة على الفور، عند عامة العلماء، أما الوجوب فلقوله -تعالى-: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

وأما الفورية، فلما في تأخيرها من الإصرار المحرم، والإنابة قريبة من التوبة لغة وشرعا، وقيل: التوبة النصوح: ألا يبقي على عمله أثراً من المعصية سرًّا وجهرا، وقيل: هي التي تورث صاحبها الفلاح عاجلا وآجلا، وقيل: التوبة: الإعراض والندم والإقلاع، والتوبة على ثلاثة معان: أولها الندم، والثاني: العزم على ترك العود إلى ما نهى الله -تعالى- عنه، والثالث: السعي في أداء المظالم)[2].

أقول: التوبة واجبة في جميع الأوقات على جميع المؤمنين والمؤمنات: قال -تعالى -: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3] ولم يخص ربنا سبحانه وتعالى العصاة فقط بل أمر المؤمنين جميعا، وفي هذه الآية تنبيه أنه لا يسلم أحد من ذنب إلا الأنبياء.

وقال رسول الله ﷺ: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ**)[4].

---

(١) سورة النور من الآية: ٣١.

(٢) كتاب التعريفات ص (٧٠) المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

(٣) سورة النور الآية: ٣١.

(٤) صحيح مسلم ك/ الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ب/ استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٤/ ٢٠٧٥) رقم (٢٧٠٢)

ثانيا: فوائد التوبة وثمراتها:

كما أن للذنوب شؤما في الأبدان والأخلاق والأرزاق والنبات والبنيان فللتوبة والاستغفار فوائد وثمرات وهذه هي:

الفائدة الأولى:

كشف العذاب والسوء عن التائبين: الرجوع إلى الله سبب للنجاة من عقابه قال – تعالى –: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

وقال –تعالى –: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾[2].

وقال –تعالى –: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾[3].

الفائدة الثانية:

تبديل السيئات حسنات كما قال –تعالى–: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[4].

الفائدة الثالثة:

استغفار الملائكة كما قال –تعالى –: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ

---

(١) سورة الأنفال الآية: ٣٣.
(٢) سورة هود الآية: ٣.
(٣) سورة يونس الآية: ٩٨.
(٤) سورة الفرقان الآية: ٧٠.

وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾[(1)].

الفائدة الرابعة:

نيل المال والولد والمطر قال -تعالى-: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾[(2)].

الفائدة الخامسة:

محبة الله للتائبين، قال -تعالى-: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾[(3)]، وقال -تعالى -: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾[(4)].

والودود: معناه كثير المحبة لمن أطاعه ومن الطاعات التي يحب الله أهلها التوبة.

الفائدة السادسة:

المغفرة، قال -تعالى -: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾[(5)].

الفائدة السابعة:

الفلاح: ومعناه الفوز بالمرغوب والنجاة من المرهوب، قال -تعالى -: ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى

---

(١) سورة غافر الآية: ٧.

(٢) سورة نوح الآيات: ١٠-١٢.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٢٢.

(٤) سورة هود الآية: ٩٠.

(٥) سورة الإسراء الآية: ٢٥.

ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[١].

الفائدة الثامنة:

دخول الجنة، قال -تعالى -:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾[٢].

الفائدة التاسعة:

قوة الأبدان، قال -تعالى-: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[٣].

الفائدة العاشرة:

القرب من الله، قال -تعالى -:﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾[٤].

جاء في التفسير الميسر: (فاسألوه أن يغفر لكم ذنوبكم، وارجعوا إليه بالتوبة النصوح إن ربي قريب لمن أخلص له العبادة، ورغب إليه في التوبة، مجيب له إذا

(١) سورة النور الآية: ٣١.
(٢) سورة التحريم الآية: ٨.
(٣) سورة هود الآية: ٥٢.
(٤) سورة هود الآية: ٦١.

دعاه)[1].

تنبيه: الأوقات التي لا تنفع فيها التوبة:

أولا: حين بلوغ الروح الحلقوم:عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– عن النبي ﷺ قال: (**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**)[2].

ثانيا: عند طلوع الشمس من المغرب أو خروج الدجال أو دابة الأرض:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**ثَلاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَالدَّجَّالُ وَدَابَّةُ الأرض**)[3].

المطلب الثالث: بيان بعض الأعمال الصالحة التي يمحو الله بها السيئات

من تمام عدل الله ورحمته بالعباد أن هداهم لطريق التوبة والاستغفار، فقد ابتلى الله النفس البشرية بالشيطان والشهوات، وعلم ﷻ ضعف البشر ففتح لهم أبواب الطاعات والحسنات ليتوبوا كما تاب آدم عليه السلام، وهذه بعض الأعمال التي شرعها الإسلام للخروج من شؤم الذنوب:

أولا: التوبة النصوح:

قال –تعالى –: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ

(١) انظر: التفسير الميسر (١/ ٢٢٨) المؤلف: نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

(٢) رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن حديث حسن: صححه الألباني في صحيح الترغيب ١٢٢/٣ رقم ٣١٤٣ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) حديث صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه ك/ الإيمان ب/ بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١/ ١٣٧) رقم (١٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٨﴾(١).

ثانيا: التحقق بالإيمان قولا وعملا ومراقبة لله وإخلاص النوايا لله:

قال -تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٦﴾(٢).

وفي الحديث الصحيح: (**إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلامُهُ يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقِصَاصُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهَا**)(٣).

قال الحافظ في الفتح:

(قَوْله: (**إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْد**) هَذَا الْحُكْم يَشْتَرِك فِيهِ الرِّجَال وَالنِّسَاء، وَذَكَرَهُ بِلَفْظِ الْمُذَكَّر تَغْلِيبًا.

قَوْله: (**فَحَسُنَ إِسْلامه**). أَيْ: صَارَ إِسْلامه حَسَنًا بِاعْتِقَادِهِ وَإِخْلاصه وَدُخُوله فِيهِ بِالْبَاطِنِ وَالظَّاهِر وَأَنْ يَسْتَحْضِر عِنْد عَمَله قُرْب رَبّه مِنْهُ وَاطِّلاعه عَلَيْهِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ تَفْسِير الإِحْسَان فِي حَدِيث سُؤَال جِبْرِيل كَمَا سَيَأْتِي)(٤).

ثالثا: الإسلام والحج المبرور:

كما صح عن النبي ﷺ فيما رواه عنه عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- حيث

---

(١) سورة التحريم آية ٨.

(٢) سورة آل عمران:١٦.

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه ك/ الإيمان ب/ حسن إسلام المرء (١/ ١٧) رقم (٤١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٩٩) المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، سنة النشر: ١٣٧٩هـ رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

قال: **أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ:ابْسُطْ يَمِينَكَ فلأُبَايِعْكَ فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ:مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟ قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟ قُلْتُ:أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ:أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلِهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ)**(1).

رابعا: عموم الحسنات:

قال -تعالى-: ﴿**إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ**﴾(2).

وفي الحديث الحسن: (**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**)(3) فإن الأعمال الصالحة من الفرائض والنوافل وسائر الحسنات تمحو الذنوب.

خامسا: الهم والغم والمصائب التي تصيب المسلم:

كما في الحديث: (**ما أصاب المؤمن من هم ولاغم ولا وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه**)(4).

سادسا: رحمة الناس والإحسان إليهم:

يقول ﷺ: (**كان فيمن كان قبلكم رجل لم يعمل خيرا قط إلا أنه كان موسرا يداين الناس ويقول لغلمانه: انظروا المعسر لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه**)(5) وجه الشاهد في الحديث: أن الله غفر لهذا الموسر الموحد لتجاوزه عن المعسرين

(1) حديث صحيح: صحيح مسلم ك/ الإيمان ب/ كون الإسلام يهدم ما قبله (1/ 112) رقم (121) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(2) سورة هود الآية: 114.

(3) حديث حسن: مشكاة المصابيح (3/ 1409) برقم (5083) المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: 741هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1985م.

(4) حديث صحيح: صحيح البخاري ك/ المرضى ب/ ماجاء في كفارة المرض (7/ 114) برقم (5641) عن عائشة رضي الله عنها.

(5) حديث صحيح: صحيح البخاري ك/ البيوع ب/ من أنظر معسرا (3/ 58) برقم (2078) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وإنظاره لهم في الدنيا وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

سابعا: رحمة الحيوانات:

جاء في الحديث الصحيح أن الله ﷻ غفر لامرأة من بغايا بني إسرائيل لسقيها كلبا فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**بينما كلب يطيف بركية، كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها فسقته فغفر لها به**»(١) والركية: البئر العميقة.

ثامنا: المرض والبلاء في النفس والمال والأهل:

ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوِ الْمُؤْمِنَةِ، فِي جَسَدِهِ، وَفِي مَالِهِ، وَفِي وَلَدِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ**»(٢).

تاسعا: صيام رمضان إيمانا واحتسابا.

عاشرا: قيام ليلة القدر إيمانا واحتسابا.

الحادي عشر: دعاء المؤمنين في صلاة الجنازة للميت يمحو الله بها ذنوبه إن أخلصوا في دعائهم فعن عائشة - رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: (**ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة، كلهم يشفعون له إلا شُفّعوا فيه**) وفي رواية شريك: (أربعون) وكلاهما في صحيح مسلم.

ما من مسلم يصلي عليه أربعون كلهم: «**ما من ميت يصلي عليه أمة من**

(١) صحيح البخاري ك/ التفسير ب/ حديث الغار (٤/ ١٧٣) برقم (٣٤٦٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) حديث صحيح: أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند (١٣/ ٢٤٨) برقم (٧٨٥٩) المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيــه» وفي روايــة (**أربعــون إلا شفعهم الله فيه**) والحديث رواه مسلم.

الثاني عشر: عذاب القبر وعذاب النار للموحدين ثم يصيرون إلى الجنة.

وهناك أعمال أخرى كذلك تكفر بها السيئات مثل: الصلوات الخمس، والعمــرة، وكثرة الصلاة والسلام على سيد الأنام، وهي مشهورة على ألسنة الخطباء وغيرهم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على النبي الأمين وعلى آلــه وصــحبه أجمعين.

كان الانتهاء من تنقيح هذا البحث بجوار المسجد النبوي الشــريف، في المدينــة المنورة على ساكنها أزكى الصلاة والسلام.

* * *

خاتمة البحث

من خلال ما سبق يمكن القول بأن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث تتمثل بالتالي:

النتيجة الأولى: أن هناك فرقا بين الابتلاء والعقوبة فالابتلاء للمؤمن يكون مع الطاعة ويصحبه الرضا، والعقوبة تنـــزل بالمذنب ويصحبها ألم.

النتيجة الثانية: أن من العقوبات الإلهية التي تنـــزل على الناس بسبب الذنوب ما يلي:

١- الجوع والخوف.

٢- هلاك الزروع والثمار.

٣- هدم البيوت وخراب القصور وزوال العمران.

٤- ضَنْكُ العَيْشِ.

٥- الأمراض والأوجاع.

٦- شدة المئونة.

٧- تسليط الأعداء على أمة الإسلام.

٨- انقطاع المطر.

٩- تنافر القلوب وتمزق المجتمعات.

١٠- الذلة والمسكنة.

١١- موت القلوب وتضييع الهداية.

١٢- البغضاء من الخلائق لأهل المعاصي والذنوب.

١٣- الخسف والمسخ والقذف بحجارة من السماء.

١٤- عذاب القبر لأهل الذنوب.

١٥- عذاب جهنم للعصاة والمذنبين.

النتيجة الثالثة: أن للابتلاء بالذنوب حكما إلهية منها:

أ- أن يعلم العبادُ أن ما قدره الله كائن لامحالة.

ب- حصول عبادة التوبة من المذنبين لربهم حتى يتوب عليهم.

ت- زوال العجب بالنفس من المؤمن وعدم الغرور بالعمل الصالح.

النتيجة الرابعة: من رحمة الله بالعباد أن فتح لهم باب التوبة، وجعل فوائدها هي كشف السوء عن التائبين، وتبديل السيئات إلى حسنات، واستغفار الملائكة للتائبين، وأن يرزق التائب المستغفر المال والولد والمطر، وأن يضع الله للتائب محبة في قلوب الخلق، ومغفرة الذنوب، والفلاح، ودخول الجنة، وقوة الأبدان، والقرب من الله، وأن التوبة لا تقبل عند بلوغ الروح الحلقوم، ولا عند طلوع الشمس من مغربها.

النتيجة الخامسة: أن الله يسر لكل عاقل كثيرا من الأعمال الصالحة الماحية التي يمحو بها السيئات، ومنها:

١- التوبة النصوح.

٢- التحقق بالإيمان قولا وعملا.

٣- الإسلام والحج المبرور.

٤- عموم الحسنات.

٥- الهم والغم والمصائب كفارات للذنوب.

٦- رحمة الناس والإحسان إليهم.

٧- رحمة الحيوانات من أسباب المغفرة.

٨- المرض والبلاء في النفس والأهل.

٩- صيام رمضان وقيامه إيمانا واحتسابا.

١٠- دعاء المؤمنين للميت في صلاة الجنازة إن أخلصوا له الدعاء وكانوا مائة وفي رواية أربعين مسلما.

والحمد لله رب العالمين،

وصل الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * *

فهرس المصادر والمراجع

١- ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢- ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٣- ابن حجر أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الناشر: دار المعرفة، بيروت، سنة النشر: ١٣٧٩هـ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٤- ابن حُميد، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة.

٥- ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي

(المتوفى: ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

٦- ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

٧- الأزدي البصري معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: ١٥٣هـ)، جامع معمر بن راشد الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق) المؤلف: المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

٨- الأزهري محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٩- الألباني أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف) سنة النشر:جـ ١، ٤: ١٤١٥هـ، ١٩٩٥ م، جـ ٦: ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

١٠- الألباني أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم،

الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) صحيح أبي داود، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١١- الألباني أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، صحيح الجامع الصغير وزيادته، الناشر: المكتب الإسلامي.

١٢- الألباني أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

١٣- البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٤- البغوي محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي

الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١٥- البقاعي إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

١٦- البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) السنن الكبرى للبيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

١٧- البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) شعب الإيمان للبيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي، الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

١٨- التبريزي محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، مشكاة المصابيح، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م.

١٩- التيمي الأصبهاني: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ) الترغيب والترهيب لقوام السنة، أيمن بن صالح بن شعبان، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٠- الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) كتاب التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٢١- الحنظلي المروزي أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بـ ابن راهويه (المتوفى: ٢٣٨هـ)، مسند إسحاق بن راهويه، المحقق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، الناشر: مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

٢٢- الداني عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) السنن الواردة في الفتن للداني، المحقق: د. رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٣- الدولابي الرازي أبو بِشْر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الدولابي الرازي (المتوفى: ٣١٠هـ) الكنى والأسماء للدولابي، المحقق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٢٤- الشيباني أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٢٥- الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المعجم الأوسط للطبراني، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد, عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين، القاهرة.

٢٦- الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المعجم الصغير، المحقق: محمد شكور محمود الحاج، الناشر: المكتب الإسلامي, دار عمار، بيروت, عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٢٧- الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، جامع البيان للطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٢٨- الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) كتاب العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٢٩- القرشي الشامي أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة بن سليمان القرشي الشامي الأطرابلسي (المتوفى: ٣٤٣هـ) جزء خيثمة بن سليمان القرشي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي،

لبنان عام النشر: ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٣٠- القشيري النيسابوري مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٣١- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تفسير النكت والعيون، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٢- نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٣٣- الهيثمي أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٣٤- المواقع الالكترونية: (موقع د/ زغلول النجار) (www.elnaggarzr.com) وموسوعة الإعجاز للأستاذ هارون يحيى (quran-m.com/quran/article)

٣٥- الموسوعات الالكترونية (موسوعة جوامع الكلم) الصادرة عن إسلام ويب (gk.islamweb.net).

* * *